قصص تربوية في السلوك الحضاري الراقي/ ج (10)

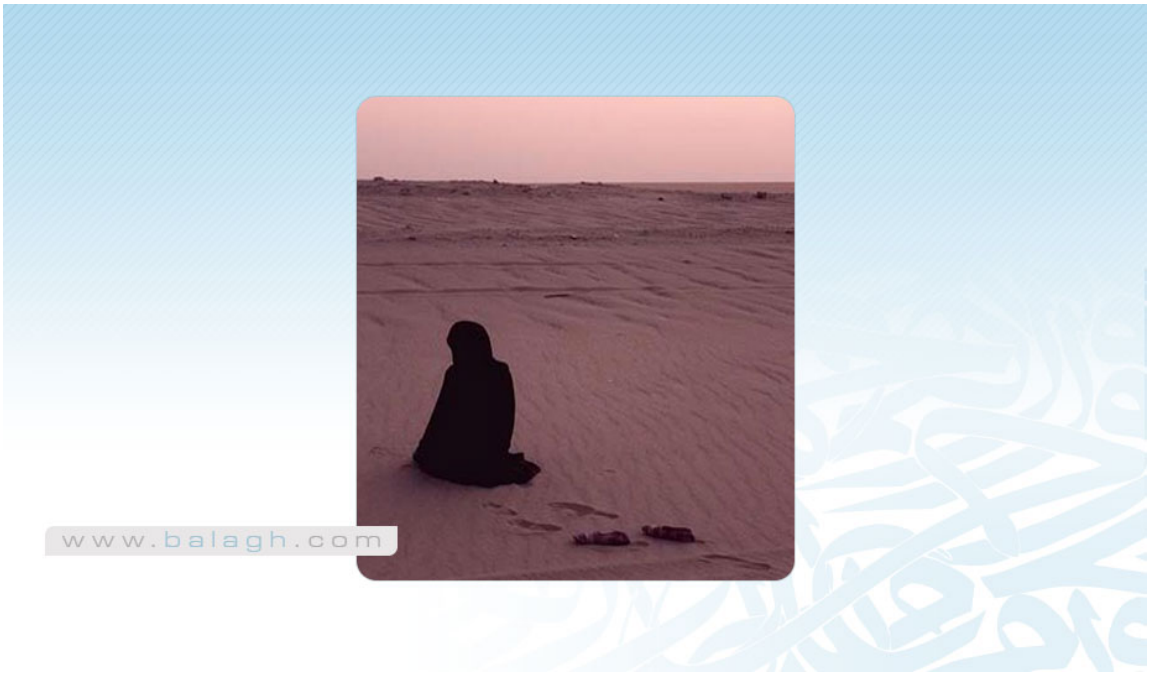

القصة العشرون "مكافأة المعصية بالطاعة!!" قال أحد الصّ ُلحاء ويُدعى (أبو الدّرداء) لرجلٍ أسمعهُ كلاماً بذيئاً آلمه: "يا هذا! لا تُغرقنّ في سبّ ِنا، ودَع للصلح موضعاً، فإنّا لا نُكافئُ مَن عصى ا فينا بأكثر من أن نطيع ا عزّ وجلّ فيه!!". - الدروس المُستخلصة: 1- هذا من الردّ الصالح على السيّ ِئة، والشتيمة، والبذاءة. فالطّلب من الشاتم أن لا يُغرق ولا يستغرق في السبّ ِ، طلب ينطوي على لفتة أنّ الإغراق والإستغراق فيه المزيد من الإثم. 2- ضرورة الإقتصاد في الشتم، بما يترك للصلح مكاناً، أما الإمعان والمبالغة فيه فقد يكسر العظم، وينسف الجسر، ويمنع خطّ الرّجعة. 3- مكافأة معصية الشاتم، بإطاعة ا في عدم الرد بالمثل، أو القول (سلاماً) هي من شِيَم المُتأدّ ِبين بأدب ا تبارك وتعالى. القصة الحادية والعشرون "المغفرةُ للإثنين!!" سَب رجلٌ الإمام محمد الباقر (ع)، مُنتقصاً من قدرِه، وبالغ في الإساءة حتى نال أُمّه بسوء، واصفاً إيّاها بالبذيئة. فما كان من الإمام الباقر إلا أن قال: "إن كانت كما تقول، غفرَ اُ لها، وإن كانت ليست كما تقول، غفر ا لك"!! - الدروس المُستخلَصة: 1- كان يمكن أن يقول الإمام الباقر (ع): "إن كانت كما وصفتها، غفر ا لها"، ويكون قد دافع عن أُمّه ِ بما يليق، وانتهى الأمر. ولكنّنا رأيناهُ يستغفرُ للشّاتم أيضاً: "وإن كانت ليست كما تقول، غفر ا لك". لأنّه يستحقّ الإستغفار فعلاً، فهو يتّهم بريئة بالبذاءة، وبذلك يستحقّ سخط ا، فهو حريّ أن يُستغفَر له، ممّا لم يفت الإمام (ع) ذلك. 2- جوابُ الإمام الباقر (ع)

أسلوبٌ تربويٌّ راقٍ يمكن تعميمهُ على النحو التالي: كلُّ إساءةٍ، وكل شتيمةٍ، وكلّ سبابٍ، وكلّ كلمة إتّهام بالباطل، يمكن أن تُجابه بالردِّ نفسه: "إن كنتُ كما تقول، غفرَ اُ لي"، "وإن كنتُ لستُ كما تقول، غفرَ ا لك". لنقصر الشرّ، ونئد الفتنة، ونُطفئ نار حربٍ يمكن أن تشتعل، ونكون قد عالجنا السيِّئة بالتي هي أحسن. القصة الثانية والعشرون "لو قُلتَ عشراً، لم تسمع منّي واحدة!!" قال رجل سبّابٌ لعّانٌ طعّانٌ لـ(ضِرار بن القعقاع): وا لو قلتَ واحدةً (شتيمة) لسمعتَ عشراً (عشر شتائم)!! فقال له ضِرار بكلِّ برودةِ أعصابٍ: وا، لو قلتَ عشراً لم تسمع منّي واحدةً!! - الدروس المُستخلَصة: 1- إنّ أجوبةً كهذا، وكالّتي سبقته، لهي في نظرنا أوجع من السِّباب والشتيمة، وأرفع في اللّغة والأدب، وأبلَغ في الوَقْعِ والتأثير. فإذا كانت نفسُ الحاقدِ مليئة بالسوء، فلا يكتفي بردِّ الصاع صاعين، بل بعشرةِ صُوع أو صياع، فإنّ نفس الإنسان الصالح تأبى وتأنف أن تردّ الواحدة بواحدة، فضلاً عن الواحدة بعشرة. 2- هذه الروحية لا تتأتّى من خاطر يخطر في أثناء الملاسنة أو سماع الشتيمة، هي تنمّ عن بناءٍ روحيٍّ متين، ونسيج أخلاقي متماسك. ومَن لم يكن حليماً فليحلّم، ومَن لم يعلم فليتعلّم، ومَن لم يكن قد تلقّى الدرس، فهذا هو الدرس!!